مقدمة وشكر

« إذا لم يكن بوسعى الذهاب إلى الجنة فى مجموعة فلن أذهب إليها على الإطلاق » من توماس جيفرسون Thomas Jefferson إلى فرانسيس هوبكنسن Francis Hopkinson .

لجأ الاقتصاديون فى بعض الأحيان إلى تاريخ الاقتصاد ؛ نتيجة ليأسهم من عدم قدرتهم على اكتشاف الحقائق ، أو على التمييز بين العلم الجيد والعلم الردئ ، وقد وجدوا العزاء دائمًا فى تأمل الأعمال السابقة .

إن هذا الكتاب لم تتم كتابته من هذا المنظور المتشكك ، ولكنه يعتمد على الاقتناع بأن فهم الديناميكية التاريخية للأبحاث يمكن أن يؤدى إلى زيادة فاعلية الأبحاث الحالية ، فإذا تناسينا الماضى فإن الأبحاث القائمة يمكن أن تفقد اتجاهها . ولهذا . . فإن الكتاب لايتعلق بالصراع بين أنصاف الحقائق التى تقادمت ، والآراء غير ذات الصلة بالرجال والنساء الذين توفوا من فترة ، ولكنه يتعلق بالنمو المتواصل للنظرية الاقتصادية المعاصرة . وإننى آمل أن يبين هذا الكتاب العلم الحالى فى ضوء أوضح .

وقد تعلمنا من أحد واضعى كلمات الأوبرا المنسيين فى إحدى الاوبرات المنسية أننا نرجع دائمًا إلى حبنا الأول . وحبى الأول فى الاقتصاد هو تاريخ المذاهب الاقتصادية ، وقد ساعد على تأجيج هذا الحب أستاذى فى جامعة زيوريخ ، مانويل ساتيزو . وقد كان كعبقرى متشكك يشعر بالراحة فى صالونات القرن الثامن عشر ، أكثر من وجوده مع النظرية المعاصرة ، كما أنه جمع مجموعة ممتازة من الطبعات الأولى للكتب المهمة . وفى حلقة النقاش التى أدارها ، ألقيت أول ورقة لى كطالب فى الاقتصاد عن كارل ماركس ، وتحت إشرافه أيضًا كتبت رسالتى عن التجارية وعودتها للحياة (لفترة قصيرة لحسن الحظ) فى القرن العشرين . وكان تاريخ الاقتصاد أحد المقررات الأولية التى قمت بتدريسها ، وفى المحاضرة الافتتاحية لى فى جامعة زيورخ ، طوَّرت فكرة أن القوانين الاقتصادية تولد تطبيقية

وتموت كمسلمات منطقية . كما أن أحد المشاريع الأدبية الأولية لى كان كتيبًا صغيرًا عن تاريخ الاقتصاد ، ولكنه لم يتطور أبعد من أحلامى . فقد احتجت أولاً إلى تعلم النظرية المعاصرة ، والتى اتجهت إليها واستنفدت كل طاقتى على مدى ثلاثين عامًا . وعندما عدت إلى حبى الأول ، وجدت أن اهتمامى قد انتقل من الحقائق البيبليوجرافية إلى الإسهامات الفعالة للنظرية الاقتصادية .

وأنا مدين بشكل متفاوت إلى تلامذتى بجامعة برن فقد اشتكى الجناح الراديكالى - مؤيدا بمجموعة من أساتذة القانون - أن برنامج الاقتصاد يخلو مما سَمَوْه بالبعد التاريخى . ومحصلة هذا النقد كانت أيديولوجية وسياسية بصورة واضحة ، ولكننى أخذت على عاتقى مسئولية توفير تاريخ للاقتصاد ، يساعد فى التوصل إلى اقتصاديين أكفاء بغض النظر عن الانتماءات السياسية للطلاب . وأنا سعيد عندما أعترف بأن طلابى خاصة ذوى الاتجاهات الراديكالية ، كانوا ضمن أفضل وأنشط مجموعة المقررات التى قمت بتدريسها .

وعملية تحويل المذكرات إلى كتاب ، تمت خلال فترة إقامة طويلة فى جامعة كاليفورنيا - بركلى ؛ فقد وفرت لى كلية إدارة الأعمال وقسم الاقتصاد بهذه الجامعة مكانا ومكتبا ، كما أننى قمت بتدريس مقرر فى الدراسات العليا عن تاريخ الاقتصاد . هذا الاهتمام وتلك المساعدة أقدرهما أيما تقدير .

كما أننى قمت بكتابة مقالات بيوجرافية فى مجلة The New Palgrave عن كل من تونن ، وجوسن ، ولاونهارت ، وأوسبتز ، ولايبن ، وأشكر الناشر للتصريح لى باستخدام هذه المواد فى الكتاب الحالى. وأنا مدين أيضًا بشكل خاص إلى كارولا دف ؛ فلم تكن فقط سكرتيرتى الوحيدة التى قامت بكتابة المذكرات على الكمبيوتر بمنتهى الدقة والخبرة ، ولكنها ساعدتنى أيضًا كمحررة مساعدة . وقد كان لتمكنها التام من اللغة الإنجليزية الفضل فى تحسين هيكل الكتاب ، كما أنها لم تدخر جهدًا فى تدقيق المراجع ، وفى تعرف أماكن المواد اللازمة .

وفى المرحلة الأخيرة للعمل ، حظيت بمساعدة ثلاثة طلاب للاقتصاد بجامعة برن ، هم : ستيفان فيلدر ، ودانييل هيلر ، وأنطوان هوفمان . وقد قاموا بمراجعة مسودة الكتاب

1 - The New Palgrave : A Dictionary of Economics, ed. John Eatwell, Murray Milgate, and Peter Newman (London: Macmillan Press; New York : Stockton Press, 1987).

فصلاً فصلاً ، وحاولوا تصيد الأخطاء والبحث عنها بأى شكل ، ومن أية وجهة نظر ممكنة . وقد كان لحماسهم النقدى الزائد الفضل فى عديد من التصحيحات والتحسينات . كما أن قارئا حجب اسمه ، له سمعة عظيمة وقدرة ومهارة تحرير قام بوضع عديد من الملاحظات ، والتى لم تحمنى من الخطأ فقط ، ولكن نتجت عنها إضافات مهمة . وفى مرحلة تحرير النسخة النهائية ، قامت إرما جارليك بإعداد المسودة النهائية للطباعة بشكل فنى ، وقامت أثناء ذلك بتصحيح عديد من أوجه القصور فى المراجع ونمط الكتابة فلكل هذه المساعدة أعبر عن شكرى .

وأنا أعرف أنه ، بالرغم من هذه الجهود . . فإن العمل الحالى غير كامل ؛ فتاريخ الاقتصاد هو مجال واسع ، ولكل جانب من جوانبه ، متخصصون فى الماضى والحاضر يعرفون (أو كانوا يعرفون) أكثر مما أعرف أو أكثر مما سأعرف . فإذا كان لهذا الكتاب من فائدة . . فإنها ليست نتيجة من الاكتمال ، ولكن من الاختيار ؛ فالسؤال المطروح هو : أى مساهمات فى تاريخ الاقتصاد تستحق أن تعتبر إسهامات كلاسيكية ، والجواب يتم تحديده بتدوين هذه الإسهامات وشرحها ، بدلاً عن عرضها فى صورة مقالات مجردة . وقد لايتفق معى معظم القراء فى بعض الاختيارات التى قمت بها ، أو القرارات أو الأحكام التى توصلت إليها ، ولكنى آمل أنهم عندما ينتهون من قراءة هذا الكتاب ، أنه سيكون لديهم فهم أعمق لهذا العلم الذى نسميه الاقتصاد .

١

مقدمة : تسكين الهيكل

موضوع الكتاب

إن الاقتصاد كمصطلح لفظى يتضمن عادة مساحة واسعة من الجهد الأكاديمى ، وغاية الاقتصاد هو الحياة الإنسانية والتاريخ ؛ وخاصة الحياة الاقتصادية والتاريخ ، بكل تفردها وتعقدها . ويتضمن الاقتصاد كل الأفكار والآراء ووجهات النظر والمذاهب ، التى تم التعبير عنها فى هذا الموضوع . كما يشكل فن اختيار تلك النظريات ، بالشكل الذى يمكن أن تساعد به فى فهم الحياة الاقتصادية وتطبيقها العملى على المشكلات الحقيقية ، التى نواجهها فى الحياة ، جزءًا آخر من الاقتصاد .

ومن بين هذه العناصر المهمة المتنوعة والمتعادلة فى الأهمية . . يختار الكتاب الحالى جانبًا واحدًا هو النظرية الاقتصادية ؛ فالآراء المجمعة والمذاهب المتعلقة بالاقتصاديين ، الذين فارقوا الحياة فى مختلف الأمور الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والسياسية ، سوف يتم اعتبارها فقط بقدر ما أثرت وأضاءت الطريق ، بالنسبة لتوضيح ديناميكية العلم ، وتوفير الحوافز الإنسانية . وفى واقع الأمر . . ليس هناك سبب خاص لاهتمام الاقتصادى المعاصر بهذه الآراء ، أكثر من اهتمامه بآراء الأفراد الآخرين .

المنظور

يمكن اعتبار النظرية الاقتصادية مخزونًا دائمًا لأدوات التحليل ، وهناك أدوات جديدة يتم إضافتها لهذا المخزون باستمرار ، من خلال البحث الابتكارى ، كما أن بعض الأدوات

القديمة يتم التخلى عنها فى نفس الوقت . وفى معظم الأحوال . . فإن هذه النظريات التى يتم التخلى عنها ، تتحقق نتيجةً ؛ لأنه يهمل استخدامها لفترات طويلة ولهذا فإنها تدخل فى طى النسيان . وفى بعض الحالات الأخرى يتضح أن بعض هذه النظريات كانت تعانى من بعض الأخطاء فى وضعها .

وأيًا ما كان المخزون من أدوات التحليل فى أية فترة . . فإننا سنسميه الاتجاه السائد فى الاقتصاد لهذه الفترة . وبالتأكيد فإن الآراء حول محتوى الاتجاه السائد فى الاقتصاد سوف تختلف ؛ لأنه لاتوجد هناك سلطة يمكن لها أن تجزم وتراقب نقاء المعتقد ووحدة المذهب . والاختبار الرئيسى السائد فى الاقتصاد ، هو ما إذا كانت قطعة معينة من التحليل تتضح فائدتها فى الاستخدامات العملية ، أو أنها مشجعة على إجراء أبحاث جديدة . والاتجاه السائد فى الاقتصاد - فى أى وقت معين - يتضمن النظريات التى تمت إضافتها فى الفترات المختلفة السابقة ، وبعض هذه النظريات حديث النشأة ، فى حين أن بعضها الآخر قد يكون موجودًا فى الكتب المدرسية ، منذ مئات السنين .

ولايحاول هذا الكتاب أن يتحقق مما تم اعتباره كاتجاه سائد فى الاقتصاد ، خلال الفترات المختلفة فى الماضى ، كما أنه لايحاول أيضًا أن يقدم تفسيرًا تركيبيًا لأى من الاقتصادات الكلاسيكية أو المارشالية أو الكينزية أو ما شابه ذلك ، أو أن يوفر مرشدًا للقارئ يلخص له ما يمكن أن يحصل عليه من قراءة آدم سميث ، أو كارل ماركس ، أو الفريد مارشال ، أو بول صامويلسون ؛ فهذه الجوانب تمت معالجتها بشكل تفصيلى فى الأدب الاقتصادى، كما أن المؤلف الحالى لايعتقد أنه يمكن أن يؤدى شيئًا أفضل من ذلك ، إضافة إلى أنه لكى يقيم القارئ ما يمكنه أن يحصل عليه من كتاب ما ، فلايوجد بديل عن قراءة هذا الكتاب قبل كل شىء .

ويعد المجال الخاص بهذا الكتاب أكثر تواضعًا ؛ فالاتجاه السائد للاقتصاد المعاصر - بكل ما يتضمنه من غموض وعدم اكتمال - سيؤخذ فى المعيار الذى نرجع إليه . وسيتم استعراض الأدب الاقتصادى للقرون الثلاثة الأخيرة ؛ لتعرف القطع التحليلية الابتكارية ، التى أصبحت تشكل جزءًا من الاتجاه السائد للاقتصاد المعاصر ، والتى ستشكل المساهمات الكلاسيكية ، التى أشير إليها فى العنوان الفرعى . فبغض النظر عما يتضمنه الأدب الاقتصادى فى الفترات الماضية من شهرة أو عبقرية ، فإنه مالم يصبح جزءًا من الاتجاه

السائد للاقتصاد المعاصر . . فسوف يتم ذكره بشكل عابر ، ومن المحتمل أن يبقى فى الظلام . وفى بعض الأحيان . . فإن الجهود غير الموفقة سوف تلقى الضوء على ديناميكية العلم .

وبعبارة أخرى . . فإن الاتجاه السائد للاقتصاد المعاصر ، يمكن تشبيهه بمبنى معين ؛ ففى المدن القديمة عادة ما يجد المرء مبانى يرجع تاريخ بنائها إلى عصور متعددة وبينما يمكن أن نجد بعض المبانى المكونة من الصلب والزجاج - والتى تم بناؤها مؤخرًا - إلا أننا سنجد بعض المبانى التى تأثرت بالطابع الفكتورى ، أو بطابع عصر النهضة أو بطابع العصور الوسطى . ومثل هذه المبانى لن يكون لها نفس درجة التناسق أو النقاء ، أو الكمال المشابهة لبعض الكنائس الجرمانية أو لبعض المعابد الإغريقية ، فهى غالبًا ما ستكون بقايا هياكل لها خطة شاذة وغريبة ، وهكذا يبدو شكل الاتجاه السائد للاقتصاد المعاصر . لذا فإن هذا الكتاب يأخذ على عاتقه تعرف هؤلاء البنائين ، الذين قاموا بإضافات رئيسية إلى الهيكل القائم كما يبدو حاليًا ، وأيضًا المبانى الضخمة التى قاموا بتشييدها . أما خطط البناء التى لم تنفذ ، أو حتى تلك التى تمت إزالتها بعد تنفيذها ، فإنها لن تظهر فى هذا السياق .

ويحتاج التاريخ - بهذا الشكل - إلى إعادة كتابة فى كل جيل ، فكتابة بعض الفصول الإضافية لن تكفى ؛ إذ إن لكل جيل تصوره الخاص بالاتجاه السائد فى الاقتصاد ، والذى يرغب فى اقتفاء آثار أسلافه . كما أن الكتابات القديمة التى يمكن أن تبدو عديمة الصلة حاليًا ، قد تصبح مساهمات قيمة فى الغد . وفى نفس الوقت . . فإن بعض الكتابات التى قد تبدو مهمة الآن ، قد يتضح عدم أهميتها فى الغد .

ومن الطبيعى ألا تتضمن هذه الطريقة نقدًا صريحًا للجهود الماضية ، فجزء رئيسى من النقد موجود ضمنًا فى القرار الخاص ، بما إذا كانت قطعة من التحليل تستحق أن توضع ، وأن تناقش فى الاختبار الخاص بالاتجاه السائد . فإذا اجتازت القطعة الاختبار بنجاح . . فإن النقد الإضافى سيتضمن مستوى من العلم سابقًا لأوانه ، أما إذا لم تجتز القطعة الاختبار بنجاح . . فإنها لاتستحق أن تظهر على المسرح بداية ، فالنقد الرئيسى بهذا المضمون لايتم بواسطة المؤرخ نفسه ، ولكن بواسطة التاريخ الاقتصادى . ففى عملية الاختيار البيولوجى . . فإن صلاحية فصيلة معينة لايتم الحكم عليها بواسطة ملاحظات عالم البيولوجيا ، ولكن ببقائها .

وبهذا المعنى . . فإن تاريخ العلم يبدو بالضرورة كقصة للتقدم التراكمى ، والتأكيد هنا على كلمة بالضرورة ، فلاتوجد هنا اعتقادات غيبية فى التقدم الإنسانى ، ولا تفاؤل عن بركات العلم ، فما نعتبره الاتجاه السائد للعلم حاليًا ، تحقق بالضرورة خلال الزمن . ولو كانت هناك معرفة قيمة تم التغاضى عنها . . فإن هذه الحقيقة بمفردها ستمنع المؤرخ من تسجيلها . ويمكن لأحد العالمين ببواطن الأمور أن يتصور أن الاتجاه السائد حاليًا فى الاقتصاد قد يكون أدنى من ذلك ، الذى كان سائدًا فى بداية القرن ، وأن معايير الاتجاه السائد فى الاقتصاد المعاصر مخطئة . إلا أن مؤلف هذا الكتاب متواضع بالقدر الكافى الذى لايجعله يدعى هذه المعرفة المتميزة ، فالاتجاه السائد للاقتصاد المعاصر - بكل ما يتضمنه من عدم كمال - هو أفضل ما يعرف المؤلف ، كما أن المؤلف نفسه يقرُّ بأنه لايعرف بالكامل ، ولهذا فإنه لايمكن أن يفعل أفضل من أن يأخذه كمعيار .

تسكين الهيكل

يمكن تنظيم تاريخ العلم حول الشخصيات أو حول الموضوعات ، وكلا الاتجاهين له شرعية متساوية ، ويتم تنظيم الكتاب الحالى بشكل رئيسى حول الأشخاص ، والتأكيد هنا على التشخيص المركز لإسهاماتهم الرئيسية ، وإن كان هذا سيسبقه عرض بيوجرافى ومناقشة مختصرة لأعمالهم الرئيسية . وقد نتج هذا الاتجاه من الاعتقاد بأن التاريخ مثير ، ليس للتداخل مع القوى غير المعروفة ، أو للمفاهيم المجردة ، وإنما بما يقوم بتعليمه عن البشر ، فهؤلاء هم القوة الوحيدة فى التاريخ ، التى يمكن أن نفهمها . كما ينبغى أن نضيف - على أية حال - أن المواد البيوجرافية فى هذا الكتاب تعتمد على البحوث الأصلية ؛ فالعمل الأصيل خصص بالكامل لتفسير الكتابات الاقتصادية ؛ بالاعتماد على المصادر الأولية ، وعلى الفصل النقدى بين القمح والتبن .

وبعبارة أخرى . . فإن هذا الكتاب يحاول ما يمكن تشبيهه بتعرف هيكل النظرية الاقتصادية ؛ فالقرار الرئيسى هو كيف يمكن تسكين هذا الهيكل ، ويوضح جدول المحتويات هذه النتيجة ، فالطبيعة المتغيرة لثقافة العلم والآراء حول الاختيارات سوف تختلف بالطبع . كما أن الهيكل نفسه سيتضمن عادة آثارًا مختلفة لكتاب كبار وصغار. ومع هذا . . فإن ذلك أمر يتعلق بالتقدير ، وسيحاول الكتاب أن يعطى رأيًا معقولاً .

وإحدى طرق تفادى مثل هذه القرارات هى الاعتماد على شهرة العلماء ؛ فالعالم

الشهير سيحظى بالطبع بآثار خالدة ، كما أن العالم الأقل شهرة قد يتعذر ذكره على الإطلاق ، أو قد يكون له مقام ضئيل . وهكذا يتصل المعيار بشكل وثيق بالنجاح الجماهيرى ؛ فأولئك الذين نجحت أعمالهم بشكل كبير يمكن اعتبارهم كأبطال أو كمؤسسين ، كما أن أولئك الذين فشلوا فى جذب الاهتمام يتم النظر إليهم كمبشرين . وبمعيار آخر . . فإن المؤلفين سيتم الحكم عليهم بكمية الاضطراب ، الذى نجحوا فى تحقيقه فى العالم ، فأولئك الذين أثاروا اضطرابًا كبيرًا سيعتبرون أعلى قدرًا من أولئك الذين كانوا أكثر هدوءًا . والمؤرخون الذين يعتمدون على هذه المعايير يتفقون فى الواقع مع الجمهور ، ويتفادون التزاماتهم ، فهم مسئولون عن إعادة التقييم والحكم على آراء المؤرخين والنقاد السابقين ، وعن التعبير عن وجهات نظرهم الشخصية . وقد نتج هذا الكتاب من محاولة تحقيق ذلك ، فكثير من الأحكام التى يتم التوصل إليها يؤكد الحكمة التقليدية ، كما أن البعض منها قد يبدو غير تقليدى ، ومن المأمول أن هذه ستكون متوازنة ومفهومة ومسببة بشكل جيد فى كل الحالات .

التقسيم إلى فترات

يغطى هذا الكتاب - كما يتضح من عنوانه - الفترة من ١٧٢٠ حتى ١٩٨٠ . ولاتوجد دقة يمكن أن ندعيها لتحديد هاتين السنتين ، فالمساهمات الأولية للفترة الكلاسيكية كانت نموًا طبيعيًا لإسهامات المدرسيين والتجاريين ، كما أن هذه الأفكار الأولية تمت مراجعتها بشكل مختصر فى الفصل الثالث . وفى نهاية الفترة . . فإن التطورات التى تحققت فى الثمانينيات ، كانت نموًا طبيعيًا للمساهمات الموضحة فى هذا الكتاب ، والتى ستصبح بالضرورة تاريخا ، أيضًا ، ولكنها فى الوقت الحالى ستكون صعبة - بل قد تبدو مستحيلة - لمراجعتها بنفس المنظور ، الذى يمكن أن نراجع به أعمال ريتشارد كانتيلون أو آدم سميث .

وعادة ما يتم تقسيم المسرحية إلى فصول يفصل بينها إسدال الستائر . ولكن التاريخ لايمكن اعتباره مسرحًا ؛ إذ إنه يتطور فى تدفق مستمر ، دون ستائر أو فترات للاستراحة . وهذا صحيح أيضًا بالنسبة لتاريخ الاقتصاد ؛ إذ إنه يتضمن تدفقًا فوضويًا إلى حد ما يختلط ببعضه بشكل أو بآخر .

والمؤرخون يجدون من الضرورى دائمًا أن يحولوا هذا التدفق الفوضوى إلى شكل مسرحى ، يقسم إلى فصول ومناظر مختلفة . وفى الحقيقة . . فإنهم مضطرون إلى هذا

العمل ، إذا كانوا يريدون أن يتم تفهم التاريخ بذكاء بواسطة قرائهم ومستمعيهم . فبعض العناوين - بغض النظر عن تقليديتها - مفيد لتسهيل الاتصال ، ولهذا . . فإن الكتاب الحالى سيتم تنظيمه حول هذه العناوين أيضًا . وبصورة خاصة . . فإن تاريخ الاقتصاد منذ عام ١٦٨٠ سيتم تقسيمه إلى : الحقبة الكلاسيكية ، والحقبة الحدية ، وحقبة بناء النماذج . وينبغى أن نوضح أننا سنفرق بين كلاسيك وكلاسيكى ؛ فالكلاسيك سينظر إليه على أنه عمل متميز ، أما الكلاسيكى فسيتم استخدامه للإشارة إلى فترة تاريخية معينة .

ويمكن شرح المدى الذى يمكننا من خلاله اعتبار هذه اللافتات تحكمية ، أو لها معنى بالاستعارة من الرياضة ؛ فالتاريخ يمكن مقارنته بسلسلة من الأرقام العشرية ، يتضمنها رقم معين ، إذ يمكن أن يدعى البعض أن هذه السلسلة عشوائية بشكل أساسى . وبالرغم من أن هذا يمكن أن يكون صحيحًا ، إلا أن هذا الافتراض ليس مفيدًا ؛ إذ إنه يستبعد أى قدرة على البحث فى العناصر المحددة ؛ بغض النظر عن مدى تناثرها .

كما أن البعض الآخر يمكن أن يدعى - بصورة استعارية - أيضًا - أن هذه المجموعة من الأرقام هى عبارة عن أرقام طبيعية ، توضح تقلبات دورية . وهذا يعنى أن الهيجليين يعتقدون أن التاريخ يتطور فى دورات : الاكتشافات الكبيرة ثم الركود ثم الأزمات . وقد كانت هذه فكرة كارل ماركس ، والتى حولها جوزيف شومبيتر إلى تاريخ الاقتصاد . وبالرغم من أن هذا الافتراض يمكن أن يكون مفيدًا . . فإنه يعكس الاحتياجات الجمالية للمثقفين ، أكثر من الطبيعة الديناميكية للعلم

كما أن هناك آخرين يمكن أن يشبهوا التاريخ بعدد غير منطقى ، تتابع أرقامه فى سلسلة محددة من ناحية المبدأ ، إلا أنها مع ذلك تفتقد التطورات الدورية ، ولايمكن التمييز بينها وبين السلسلة العشوائية بشكل إحصائى . ويمكن التقرير بأن هذه أفضل الطرق الواعدة للنظر إلى التاريخ . وبالنسبة لتاريخ الاقتصاد . . فإن هذا الرأى يعنى أنه لايمكن تقسيمه إلى فترات طبيعية .

ومع ذلك . . فإنه من الصحيح أن كل نبضة من نبضات التقدم العلمى - بغض النظر عما إذا كانت تبدو عشوائية - ضئيلة بالمقارنة بالمخزون الكبير من النظرية الاقتصادية الموروثة . ولهذا . . فإن هذا المخزون الكبير عادة ما يحتفظ بخصائص عامة لفترات طويلة . وللعين غير المدربة التى تنظر إلى المخزون المتراكم من المعرفة . . فقد يبدو أن الاقتصاد تقدم فى شكل دورات ، وهذه بغض النظر عن عدم انتظامها يمكن استخدامها لشرح المراحل

الواسعة لتاريخ العلم . وبهذا المعنى . . فإن تاريخ الاقتصاد سيتم تقديمه هنا مقسمًا إلى حقب مختلفة . وبالرغم من أن هذا يسهل عملية العرض . . فإنه ينبغى أن نحتفظ فى أذهاننا بأن الخطوط الفاصلة بين الحقب المختلفة غالبًا ما تكون فى نظر المتلقى .

وبصورة خاصة . . فإن الحقب المتتابعة لايمكن تعريفها بمدارس أو مذاهب أو نماذج محددة ؛ فهى تتضمن - أو تهدف إلى - أن تتصف بروح معتادة أو فكرة مهيمنة تسيطر على الفكر الاقتصادى لفترة معينة ، خلال كافة المجادلات . فصفحة من بول صامويلسون سوف تختلف بالتأكيد عن صفحة من ليون فالراس ، والتى بدورها ستكون مختلفة تمامًا عن صفحة من آدم سميث . وهذا الشكل من الاختلاف هو الذى نتجه إلى تقريره بالتفرقة بين الحقب المتتالية ، وسيتم شرح الطبيعة الخاصة بهذه الاختلافات فى مقدمة الأجزاء المختلفة من هذا الكتاب .

التنظيم

سيتم تقسيم فصول هذا الكتاب إلى قسمين أساسيين ، فحوالى ثلثى هذه الفصول ، فصول معنونة بالأسماء تعالج مؤلفين بأنفسهم . أما الفصول الباقية . . فهى فصول تتعلق بالموضوع ، وتعالج مجالاً محددًا من الاقتصاد بشكل أو بآخر . وسيتم تقسيم أجزاء كل فصل تقسيمًا مغايرًا ، فالعناوين الفرعية للفصول التى تختص بكبار الاقتصاديين ، ستهتم بموضوعات المساهمات الرئيسية لهؤلاء الكتاب ، فى حين أن العناوين الفرعية لفصول الموضوعات ستهتم بالمساهمات الفردية . وبشكل رئيسى . . فإن الكتاب بأسره ، كما شرحنا مسبقًا ، سيتم تنظيمه بصورة رئيسية من وجهة نظر الأسماء ، فالكتاب حول الأبطال وليس حول أعمالهم (بالرغم من أن الأعمال هى التى تصنع الأبطال) . ولهذا السبب سوف يجد القارئ أن الأجزاء الفرعية فى كل فصل خاص بالموضوع ، سيتم تقسيمها إلى فصول صغيرة خاصة بالمؤلفين . والفارق الرئيسى الوحيد هو أن المؤلفين الذين سيعالجون فى فصول الأسماء ، قاموا بمساهمات كلاسيكية فى مجالات متنوعة ، وربما قد تكون متسعة ، بينما تتضمن فصول الموضوعات عددًا من المؤلفين بمساهمات ضيقة ومحدودة . ولايتضمن هذا بالضرورة حكمًا حول الأهمية النسبية لهؤلاء المؤلفين أو لإسهاماتهم ، فتنظيم هذه الفصول سيساعد القراء المهتمين بموضوع محدد بأن يجدوا طريقهم لذلك بسهولة ، وكل ما عليهم هو أن يضيفوا إلى فصول الموضوعات الأقسام ، ذات الصلة من فصول الأسماء .